

الحروانظرا لا يعقل انما تبي قفرا قاحلا بعد ان تخرقها سكة الحديد وتسمى عاصمتها بغداد وراه  
موارد الثروة . ولا بد من ربح وانزلتلك الطريق مما تنقله من بضائع الشرق والغرب ولكن  
اذا عاد الى البلاد سابق خصيبا وتدقت منها الخيرات زاد ربحا ورجحا وتحققت فيها آمال الذين  
انشاوها وخالج نفوسهم احياه البلاد لما اشاروا بها  
انتهى كلام السروليم ولكنكس ملغصا وقد الحق خطبته برسوم كثيرة نقلنا واحد امنها لكي  
يتضح للقارىء مواقع الاماكن التي ذكرها واضفنا اليها اسماء اماكن اخرى انقاما للفائدة

### شياطين تولستوي

تولستوي فيلسوف روسي من اشهر كتّاب العصر كما لا يخفى وقد كتب الآن في ذم  
التمدن الحاضر وعدّ أركانه كلها اذليل وحيائل نصيبها ابليس لاقتناص نفوس الناس . ومفاد  
ما كتبه ان ابليس جلس يوماً في دركات جهنم أسفاً لانه اضاع ملكه في هذه الدنيا عجيبة  
السيد المسيح وتخليصه لبني آدم . ومرت عليه السنون والياس يمزق احشائه لكن اعوانه لم يأسوا  
بأسه فطافوا في الارض يكدون المكابد للناس ثم عادوا وبشائر الظفر في وجوههم فقال واحد  
منهم اني زرعت بين الناس بزور الشقاق الديني واقنعت كل فريق منهم انه على هدى وغيره  
على ضلال ولا بد لكل فريق من ان يخارب الفريق الآخر ويقتله لكي يتفهمه بفساد معتقد  
وقد تركتهم والحيلة ناجمة فيهم على ما يرام ولكنني خشيت ان يتبهوا لها فيفسد علي قسدي  
ولذلك اخترعت لهم ما يسمى بالكنيسة او الجماعة حتى اذا اتقوا اعتمادهم عليها اطمأن بالي من  
قبلهم . فقال له ابليس ماذا تعني بالكنيسة او الجماعة . وكأنه استاء لان بين اعوانه واحدا  
يعرف ما لا يعرفه هو . فقال ذلك اني اعني بذلك الناس الذين يتشهدون بالله على صدق ما يقولون  
اذا علموا ان الناس لا يصدقون آكاذبهم . ثم اخذ يشرح ما فعلته الكنائس والجماعات من  
اضطهاد بعضها بعضاً . فاستغرب ابليس ذلك وقال له ولكن ماذا فعلوا بالوصية القائلة كما  
تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً فيهم . فقال سمعت منهم قصة يتداولونها وهي  
ان ساحراً اراد ان يتخذ رجلاً من شرساحر آخر فحوّله الى حبة حنطة فحوّل الساحر الآخر  
نفسه الى ديك واسرع اليها ليلتقطها فبقه الساحر الاول وانزع عليها اردباً من الحنطة فتعدت  
على الديك الاهتداء اليها وتعدت عليه ان يأكل حبوب الحنطة كلها لكي يأكلها في جملتها .  
وقد نصحت للناس ان يفعلوا مثل ذلك ففظوا هذه الوصية بالوف من الوصايا والتعاليم حتى

تعدّر عليهم اكتشافها بينها وتعدّر عليهم حفظها كلها  
فتسم ابليس وقال له احسنت واجملت وضحج الابالة كلهم ضحجًا وطربًا  
ثم قال اذا لا يزال حال الارض على ما كان عليه جرائم ومنكرات ولصوص وقتلة .  
فصعد اليه شيطان كبير الهامة في رأسه قرنان اعقفان وقال نعم ايها المولى وقد اعدنا كما كانت  
لما القينا في قلوب بني اسرائيل ان يملّكوا شاوول عليهم وقلنا لهم خير لكم ان يسلبكم رجل واحد  
من ان يسلب بعضكم بعضًا فنشوا الشرائع والقوانين التي يسود بها اهل البطالة والتكسل وهم  
الفئة الصغرى على اهل الجهد والاجتهاد وهم الفئة الكبرى واغربنا كل أمة بانها افضل من غيرها  
فوقع بينهم المداة والبغضاء ونشبت الحروب وتفاقت الخطوب  
فسرّ ابليس بهذا الخطاب والتفت الى مخترع فن الاجتماع (السيولوجيا) وسمع شرحه  
له وتمديده شروبه ومنكراته فانتى عليه جيلًا ووعده بالجزاء . وحينئذ ضجّ جمهور من  
الابالسة قائلين يظهر انك نبيتنا ولم تظن لنا . فقال لهم هاتوا اخباروني بما فعلتم  
فقال واحد منهم انا شيطان الصناعة وقال آخر وانا شيطان تقسيم الاعمال . وقال آخر  
وانا شيطان الطرق والمواصلات . وقال آخر وانا شيطان الطباعة . وقال آخر وانا شيطان  
الفنون الجميلة . وقال آخر وانا شيطان الطب . وقال آخر وانا شيطان التهذيب وهمّ جزءا .  
وحاولوا الكلام كلهم معًا فانتهزهم وقال اكلموا واحدًا واحدًا . فقال شيطان الصناعة اني  
علمت الناس ان يكثروا المصنوعات ويسرعوا في عملها فصاروا يقضون العمر في عمل ما لا  
يستطيع متاعه استعماله ولا يستطيع مستعمله اتباعه  
وقال شيطان تقسيم الاعمال اني جعلت الناس كالات الصماء لا يستطيع الواحد منهم  
ان يعمل أكثر من عمل واحد فبقوا عبيدًا لاصحاب المعامل  
وقال شيطان الطرق والمواصلات لقد علمت الناس ان لذة العيش بالنقل فصاروا يهاهون  
بمسابقة الطيور في الانتقال من مكان الى آخر  
وقال شيطان الطباعة اني علمتهم ان ينشروا اختط الآراء على العدد الاكبر من القراء  
وقال شيطان الفنون الجميلة ان علمتهم ان يزوقوا الرذائل حتى تغري النفوس وتغلب الالباب  
وقال شيطان الطب اني علمتهم ان غايتهم الكبرى صحة ابدانهم فتركوا نفوسهم ونفوس غيرهم  
وقال شيطان التهذيب اني رسخت في اذهانهم ان التهذيب يقوم باستحسان آثار الصناعة  
وتقسيم الاعمال والطرق والمواصلات والطب والطباعة ومن نال هذا التهذيب فقد بلغ الكمال  
ولم تعد يد حاجة الى شيء

نشكروهم ابليس واثني على همتهم ثم بسط جناحيه ونهض فاجتمعوا حوله واسك كل منهم  
بذنب الآخر وجعلوا يطوفون به راقصين وهم يظفرون ويفحكرون وهو يرقص في وسطهم ظريفاً  
والناس على الارض يهتفون ويتعجبون ويصرخون باستانهم . انتهى الختصاً

وفلسفة تولستوي على ما فيها من الغلو في تقيح اعمال الناس لا تتخلو من الحقائق ولكن من  
قرأ تاريخ العصور الخالية ورأى مقدار الضنك الذي احتمله الانسان من الانسان . من نظر  
في الصورة المنقوشة على جياكل مصر وبابل واشور ورأى الملوك تدوس الاسرى بسنابك  
خيولها وتمزق مفاصلهم بالدهق . من قرأ تاريخ الممالك وما كانوا يفعلون منذ اقل من ستمائة عام .  
من قرأ تاريخ ديوان التنيش وما فعل من الفظائع باسم الدين . من رأى ذلك كله لا يسعه  
ان ينكر ان ظل مملكة ابليس قد تقلص من هذه المسكونة وان الناس لم يكونوا في عصر  
من العصور ارغد عيشاً منهم الآن . ولا بد من ان يزيدوا ثقلاً فيطرحوا كثيراً مما هم في  
غنى عنه ولا فائدة منه سوى تكثير التيب والضنك . وتبقى الحروب من آثار القرون الغابرة  
لكن وظأنتها تخفف رويداً رويداً وشرورها تنقل الى ان نزول . وسيبقى صغار القراء ذلك  
قبل انقضاء عشرين او ثلاثين عاماً . وما حبة تولستوي من اعمال الشيطان انما هو السبيل  
الطبيعي الذي سار فيه الانسان حتى تمكن من الوصول الى ما وصل اليه الآن . وفي هذا  
السبيل كثير من المعاصر والمخازي ولكن مصدرها ليس من الشيطان بل من الجهاد العام الذي  
تشترك فيه الاحياء جمعاء نباتاً كانت او حيواناً او انساناً . الجهاد الذي لا بد منه للارتقاء  
تجد نبات الحقل يزاحم بعضه بعضاً ويحافظ القوت من التراب والهواء ويعتدي بعضه على  
بعض حتى يبقى القوي ويهلك الضعيف . وانواع الحيوان من الميكروبات الصغيرة الى الانسان  
سيد للمخلوقات جارية هذا الجري تسابق وتساجل وياكل بعضها بعضاً ولا تنفق على  
ضعيف ولا ترحم متألماً . تدخل الميكروبات بدن الانسان وتبليه باشد الآلام ولا تبالي لان  
معيشتها غرضها الوحيد من الحياة . ويصطاد الباشق العصفور ويمزق بدنه ويأكله ولا يسمع  
صراخه ولا يرحم فراخه . ولا يقل فعل الانسان عن ذلك فيذبج الخروف امام امه ويصطاد  
السلك ويشويه حياً ويدوس الثقل والدود كأنهما من تراب الارض . سنة الله في خلقه بل  
سنة الكون التي سنها موجود الكون واخضع لها كل ما فيه